

## الشعور بالنقص في ضوء النظريات العلمية

م ٠٠ م إيمان نعيم شعير محسن العفراوي

جامعة البصرة - كلية التربية - قسم العلوم التربوية والنفسية

### الخلاصة

إن الإحساس بالنقص والتقصير صفة تلازم النفس الإنسانية منذ بدء خلقها فالطفل منذ نعومة أظفاره يشعر بأنه عاجز وضعيف أمام الآخرين وقد تستمر معه هذه الحالة إلى الكبر ، وان كانت عقدة الشعور بالنقص في أغلب المجتمعات الشرقية لها بالغ الأثر في الانجذاب بشكل مباشر أو غير مباشر إلى الآخر ، القوي بقدراته وإمكانياته فان الاندماج مع الآخر في جميع تفاصيل حياته يمثل حالة ضعف وعدم ثبات على ما يؤمن به الفرد ، ولما كان الإنسان مخلوقاً ضعيفاً والحياة أمامه مليئة بالصعاب فهو يشعر بذلك النقص أمام قوى الطبيعة فنراه ينظر إلى نفسه أنه أقل من الآخرين ، وقد أدرك علماء النفس - المسلمون وغير المسلمين - خطورة هذه المشكلة وما يؤدي الإفراط أو التفريط بها إلى الابتلاء بعقدة الدونية وضعف الشخصية ومن ثم الوقوع في حالة الكبر والعجب ، وقد أخذت المشكلة تتزايد في الآونة الأخيرة نتيجة للظروف التي يتعرض لها المجتمع العالمي من تطور تكنولوجي ونقل حضارية سريعة وهي التي ألقت على الفرد والمجتمع ألواناً من الضغوط والعقد النفسية فكان من آثارها الاجتماعية هو أن نجد الأمة برمتها تصاب بهذا المرض نتيجة سقوطها ضحية الأطماع السياسية والاقتصادية مما يكرس حالة التبعية للأجنبي ويؤكد روح التعريب الحضاري لدى الناس وفصلهم عن تراثهم وثقافتهم الأصلية ، ومع أن الشعور بالنقص ليس أمراً أساسياً ، بل عاملاً مساعداً لتقدم الإنسان وتكامله ، إلا انه يبقى مستمراً طالما بقي مفترقاً إلى الجانب المعنوي ( الانتماء إلى الله ) الذي به يحصل الإنسان على كماله المطلق ، وعليه :- قدحت فكرة البحث الحالي للكشف عن ماهية المشكلة وأسبابها وتداعياتها في ضوء النظريات العلمية ، وكدراسة تحليلية وصفية تحاول توضيح جانب من أساليب الوقاية والعلاج النفسي وكذلك جانب من عظمة القرآن الكريم وما يطرحه من برامج وقائية وعلاجية شاملة لهذه الحالة ، إذ اهتم القرآن - أسلوباً ومضموناً - بالحالات النفسية للفرد بصورة مباشرة أو غير مباشرة لكونه حمل رسالة السعادة لهداية البشرية من خالقها قال تعالى : ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ [ النحل / ٨٩ ] .

## المبحث الأول - التعريف بالمبحث

### مشكلة البحث

إن من أهم المشكلات التي يواجهها العالم الحديث هي ازدياد نسبة الأمراض العصبية والعقد النفسية ، ولعل من أخطر هذه الأمراض التي تغلب ذات الإنسان وتوجهه نحو الانحطاط والانعزال عما سخره له ربه ، هو إحساسه بالنقص والضعف أمام التحديات ، فحينما يفكر بالكيفية التي تمكنه من المواجهة والسيطرة يجد نفسه لا تطاوعه على الإقدام لتحقيق الغلبة وتجاوز التحديات ، بل يحس بخواء نفسي لا يعينه على الوقوف بحزم وقوة لتحقيق الانتصار ، وتسخير ما حوله لذاته ، وها هي البشرية في عالمنا المعاصر تعيش أزمات نفسية حادة واضطرابات معنوية شديدة بسبب التغير الاجتماعي والنقد العلمي والتكنولوجي السريع الذي لم تستطع أن تسايره قدرة الإنسان على التوافق للجديد ، فقد نجد الكثير في المجتمع المعاصر يعاني من الصراعات والاحباطات ومشاعر القلق والتوتر ، مما أثر سلباً في صفاء الحياة النفسية للإنسان واتزانها وهدايتها وتحقيق أهدافها وتطلعاتها ، الأمر الذي أفرز لنا إنساناً مليئاً بالمشكلات والعقد النفسية ولعل الشعور بالنقص - عقدة النقص - Inferiority complex - من أهم هذه العقد التي تهدد سلامة الإنسان وأمنه النفسي ، لكونه ينشأ نتيجة لوجود قصور عضوي أو عجز ما ، أو إحساس بعدم الاكتمال سيكولوجياً كان أم اجتماعياً ، مما يشعره بعدم الأمن وعدم الكفاية وقد يعتدي على نفسه بان يتطوع ليحط من قدره وبتنازل عن قيمته التي أودعها الله عز وجل إياها فإذا به يجد نفسه صغيراً أمام من حوله وتسوء الحالة حين يصل مع الزمن إلى قناعة تامة بالعجز والقصور ، فيرى أنّ الكمال هو نصيب لكل شيء يجده أمامه ، ولا يرى في أفق ذاته إلا كتلة تسيرها الظروف المحيطة ومصادر القوة ، فنراه يكون حساس ويثور لأتفه الأسباب ويلتقط بسرعة علامات النقد ، ودائماً يقارن نفسه وأعماله بغيره ، فلا يشعر بالاطمئنان بالمرّة إذا وجه إليه أو لإعماله أي نقد ، مما ينعكس سلباً على توازنه النفسي بين ما هو فعلاً وبين ما يطمح أن يكون ، فيعيش في حرب دائمة مع نفسه ومع المجتمع فتسيطر عليه مشاعر الفشل والضعف ويتضخم شعوره بالانعزال ويكون لديه استعداد للخضوع والقبول لما يملى عليه أو يتبنى وجهات نظر الآخرين دون تفكير أو تبصر ، وقد يقع في صراع عنيف يدفعه إلى العدوان عله يجد فيه الأمن والأمان ، لكنه أمنّ صناعي مزيف لا يلبث أن ينهار أمام أي موقف يثير القلق والتوتر المستمر ، أن شخصاً كهذا قد يقع مورداً للسخرية والاستهزاء من الآخرين مما يصبح هذا العمل من ضمن عاداته وتصرفاته مستقبلاً ، إن عقدة النقص توجب العجز عن تدارك النقص ومشاعر الدونية ، مع إن هذا قد لا يكون له واقعاً في الشخصية ولا يرافقه الإحساس العاطفي بذلك ، ومعلوم أنّ

## العفراوي

التربية الخاطئة لها تأثير خطير في التكوين النفسي للإنسان وتوجيه شخصيته باتجاه غير سليم ، فالأسرة المضطربة تصبح محلاً للعقد بمختلف أنماطها .

وهنا نسأل : من الذي دفع بهذه الظروف غير المناسبة إلى أن تكون غير سوية ؟ هل هو ضعف القيم والمثل الربانية ؟ أم هو اتجاه التعصب نحو المادية المستشري في بعض الأسر المعاصرة؟ يرى بعضهم أنّ من أخطر أسباب الاضطرابات النفسية وسوء التوافق النفسي يعود إلى أمراض الضمير ( ٣١ ، ص ٥٠ ) .

ونرى نحن أن الاتجاه المادي السائد اليوم ليس هو في الواقع سوى ردة فعل شديدة لانحرافات تربية دفعت بالأفراد إلى أن تصاب بهذه العقد النفسية ، فما نلاحظه من الجفاف العاطفي السائد في بعض الأسر المعاصرة ، قد جعل الناس يصبحون كالماكنة وهذا فقر خطير في البشرية ، لان الإنسان حين يفقد إنسانيته فهو يصبح جزءاً من ماكنة ، ولنتخيل هذه الأساليب ماذا تجر على الإنسان من كوارث ونكبات .

صحيح أنّ بعض الأمراض والعقد النفسية ليست اذن ماهية معنوية إلا أنّها تنتهي إلى جذور معنوية ، وهنا لنا بعض التساؤلات : ما هي جذور هذه الاضطرابات والعقد النفسية ؟ هل هي كامنة في الفقر ؟ مع أنّ الفقر نفسه نفس الفقر في هذا العصر له جذور معنوية وليست اقتصادية ، اين تشيع وتنتشر هذه الاضطرابات ؟ أهي شائعة في أوساط العوائل الفقيرة والمحرومة ؟ أم أنها تنتشر في مجالات لا تشكو من النقص المادي ؟

إنها تعيش في الأجواء الفارغة معنوياً وأفرادها يعيشون حالة الانهزام وعدم القدرة على مواجهة مشكلات الحياة ، الأمر الذي ينشأ منهم شخصيات ضعيفة مليئة بالإحساس العميق بالنقص .

وان خطورة هذا الشعور الإنساني تكمن عند الإفراط فيه والتفريط به ، فالإفراط فيه يؤدي إلى امتهان الذات وظهور عقدة الدونية لعجز الفرد عن مواجهة الضغوط الخارجية ، بينما التفريط به يوقع الفرد في ابتلاءات الكبر والعجب اذ تزداد عنده حالة الاستعلاء والرضا عن النفس أو الشعور بالكمال ، وحينئذ لا يرضى بالعلاقات العادية في حياته وإنما يواجه الأمر بحالة تكبرية تتناسب مع أهدافه فيتوهم لنفسه كمالات لا توجد فيها ، وحينئذ يشعر بعدم النقص فيغلق على نفسه أبواب التقدم والترقي ويقتل في داخله دوافع التحرك نحو الأمام ، مصداق لقول الإمام علي ( عليه السلام ) : " من رضي عن نفسه ظهرت عليه المعائب " ( ٥ ، ص ٦١٣ ) .

وهكذا يتضح لنا ، أنّ الإفراط والتفريط في الشعور بالنقص يؤدي الى أضرار فادحة بالفرد والمجتمع ، وبشل حركتهما التكاملية خاصة إذا أصبح سمة عامة للمجتمع ، فانه يكرس حالة التبعية والخضوع إلى الأجنبي ، ومن ثمّ فقد الهوية والأصالة ، وهذا ما تجسده حالة بعض بلداننا الإسلامية اليوم ، فقد ضرب الشعور بالنقص أطنابه فيها فلا نجد منها إلا تبريرات ومواقف سلبية تلقي بالتبعات

## الشعور بالنقص في ضوء النظريات العلمية

على الاستعمار ومخططاته وما نتج عنه من أنظمة متخلفة على جميع الصعد ، وهذا يعد مصداق واضحاً لحالة التعويض السلبي ...

### أهمية البحث

إن الله سبحانه وتعالى أودع في فطرة الإنسان ميولاً ودوافع تحركه نحو هدفه وتبعثه على الترقى والتقدم نحو الأمام ، ولعل الشعور بالنقص أحد هذه الدوافع ، لما له من دور كبير في تهذيب تلك الدوافع وتفعيلها وتمييزها لتؤدي دورها بشكل كامل ، فهو أمر طبيعي لكونه عاملاً مساعداً يدفع الفرد لاستثمار طاقاته وقابلياته ، ويوجه أنظاره إلى تحقيق أهدافه وتطلعاته ويصوغ له المنهج للوصول إلى هذه الأهداف ، فشعور الإنسان بالنقص والفقر من جميع الجوانب يثير فيه الرغبة ويحرك لديه النزعة الفطرية في طلب الكمال وسد النقص ، لأنّ الإنسان متى ما شعر الاكتفاء وعدم الحاجة فإنه سوف لا يتقدم لان الذي يحرك ويقدم البشرية هو شعورها بالتقصير والنقص ، فهذا الشعور صفة تلازم النفس الإنسانية منذ بدء خلقها وان الرغبة للتفوق متأصلة فيها ، فعندما يرى الإنسان نفسه اقل من الآخرين يشعر في قرارة نفسه بالتهديد المبطن من الآخرين ، مما يؤثر سلباً في توازنه واستقراره النفسي .

إن ظاهرة الشعور بالنقص من الموارد التي اهتم بها علماء النفس منذ قرن من الزمن تقريباً ، نظراً لأهميتها وخطورتها وما يترتب عليها من مآل ، إذ إن الإفراط والتفريط فيها يؤدي إلى نتائج خطيرة ومشاكل نفسية شديدة لان المبالغة في هذا الإحساس والاستمرار عليه يتحول إلى " عقدة الدونية " و من ثم ضعف الشخصية .

ومعلوم أن ضعف الشخصية يعيق الفرد عن استغلال طاقاته في تنمية ذاته وترشيدها ويغرس فيه روح الانقياد والمسايرة للآخر ، وللإحساس بالنقص أسباب ودوافع كثيرة أهمها : التربية غير السوية فهي عامل مهم في صياغة نفس الإنسان أو خلوه من عقدة الشعور بالنقص ، وكذلك القيود الاجتماعية فهي تعدّ تحديات يواجهها الإنسان في ظروف مختلفة فالفقر مثلاً ، قد يكون عاملاً في نمو الإحساس بالنقص نتيجة إرادة الإنسان الضعيفة ، كذلك الغنى قد يؤدي بالإنسان إلى الكبر والطغيان قال تعالى : ((إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ)) [ العلق / ٦-٧ ] ، كذلك لا يخفى علينا الآثار المباشرة للأنظمة السياسية المتخلفة فهي تسعى دائماً لإشعار مواطنيها بالضعف والنقص وفرض الطاعة العمياء لها من قبلهم ولاسيما ونحن نعيش صراعاً حضارياً مع الدول المستكبرة التي تستخدم أساليب التحقير وإذلال الشعوب المستضعفة من اجل إزالة الشعور بالكرامة والعزة لديها ، إذ إن أفضل وسيلة لديها هي العثور على أفراد من ضعاف الشخصية في بث الثقافة الأجنبية في بلداننا لتكريس روح التغريب الحضاري لدى الناس و من ثم فصلهم عن هويتهم الأصلية مما يؤدي إلى حالة من ازدواج الشخصية وانهيار القيم المعنوية والاجتماعية وتعزيز التبعية الفكرية ، ولا شك في أنّ الإنسان مخلوق ضعيف والحياة مليئة

## العفراوي

بالصعاب فهو يشعر بالنقص والضعف أمام المتغيرات الطبيعية والاجتماعية ، لذا إنّ الشعور بالنقص يعدّ عاملاً مهماً في دفع الإنسان إلى الترقى والتكامل .

وهنا نسأل : متى يصل الإنسان إلى حد كماله ، وتشبع حاجته ؟ إن مقتضى العقل والفطرة الإنسانية هو السعي للحصول على الكمال إلا أن ما يروي هذا العطش الفطري هو الاتصال بمنع قدرة لا نهائية وإلا فالإنسان سيبقى طالباً للكمال بلا نهاية .

إن الأفراد يسعون إلى الكمالات المادية ويبدلون كل طاقاتهم لتحقيقها ولكنهم لا يعرفون الهدف الأساسي للخلاقة وكمالهم الحقيقي .

والغرض ، إن النظرية الإسلامية عينت الهدف للإنسان وأظهرت عظمته وكمالته ودعت إلى التوجه والاتصال به لان الدوافع الفطرية التي تحرك الإنسان نحو اللانهاية لا يتم إشباعها الكامل إلا بالوصول إلى مقام القرب الإلهي لان الابتعاد عن المنهج الرباني هو مفتاح سر الكثير من الأمراض والعقد النفسية ، فالنفس البشرية ليست بحاجة إلى توفير متطلباتها المادية فحسب ، بل الانشداد إلى الخالق الواحد عبر التزام أوامره ونواهيته هو الركيزة الأساس فاستناد الإنسان إلى إرادة إلهية جبارة لابد وان تنتهي به إلى حيث الصفاء النفسي والروحي .

ومن الملاحظ أن المغالاة في الابتعاد عن الدين قد طبع آثاره على المجتمعات الإسلامية نتيجة تبني بعض من المسلمين للفكر الوافد دون دراسة أو تمحيص وإيمانهم بمقدرته على الخلاص من عوامل التخلف والاستعمار ، ولكن الحقائق أثبتت فشل بعض المناهج الغربية الأرضية في بناء مجتمع سليم قائم على القيم التربوية السليمة .

وهكذا يتجلى لنا ، أنّ الشعور بالنقص يكون ايجابياً وصحياً حين يكون متعلقاً برضا الله عز وجل اذ يسعى الفرد إلى تصعيد نشاطه العبادي تجاه ربه وتجاه الآخرين ، ولكن حين يتحول تجاه الأشياء إلى عقدة نفسية ، فهو يعد مرضاً قد يسلم صاحبه إلى اليأس من الحياة أو الانتحار هرباً من مواجهتها ، ومن هنا ، فان الإنسان المسلم الساعي لدرجات الكمال على وفق منهاج الشريعة الإسلامية لا يعترضه الإحساس بالنقص أمام المخلوقات عامة .

وبناءً عليه ، فقد انبثقت أهمية البحث الحالي التي تسعى إلى الكشف عن برامج متكاملة للوقاية والعلاج من هذه الظاهرة التي كانت وماتزال احد مظاهر تبني الإنسان للمناهج الأرضية في تسير حياته زيادةً على انها نتاج إرادة الإنسان المنحرفة وتخليها عن المنهج الرباني مما كان سبباً في الابتعاد والغربة عن طريق الكمال الحقيقي والاطمئنان والرضى .

### أهداف البحث

يهدف البحث للتعرف على :

1. أسباب وتداعيات الشعور بالنقص .
2. الشعور بالنقص في ضوء النظريات النفسية الحديثة .

## الشعور بالنقص في ضوء النظريات العلمية

٣. الشعور بالنقص على وفق منهاج الشريعة الإسلامية .

٤. الوقاية والعلاج .

### ماهية عقدة الشعور بالنقص

أطلق علماء النفس عدة أسماء لعقدة الشعور بالنقص ، نحو " عقدة الشعور بالدونية " ، " عقدة الإحساس بالضعة " ، " عقدة الإحساس بالضعف " .

والعقدة في معناها اللغوي : ما يمسك الشيء ويوثقه ( ٢٥ ، ص ٤٤ ) .

والعقدة النفسية : هي الوقوف إمام ( صراع المشاع ) وقوفاً يسبب ظهور أعراض ناتجة عن عواطف مكبوتة ، يقول الباحث الغربي " سارجنت " : إن العقدة بمعناها الاضيق هي أجزاء مكبوتة لإحدى الخبرات المؤلمة بسبب صراع لم يحل ( ١٥ ، ص ٤٨ ) ، وان الفرد يتصرف بدوافع لا شعورية مرتبطة بعقدة نفسية هذه العقدة هي استعداد شعوري لا يفتن الفرد إلى وجوده ولا يعرف أصله ولكنه يحس به في السلوك الظاهري ( ٦ ، ص ٢٠٠ ) ، ولإعطاء صورة واضحة عن الشعور بالنقص يحسن بنا أن نلتفت إلى ما يراه عالم النفس " ادلر " حول هذا الموضوع .

### محاور تعريفات " ادلر " :

لقد وصف عالم النفس " ادلر " الشعور بالنقص وصفاً دقيقاً - نظراً لاهتمامه بحالة الشعور بالنقص - وفيما يلي نورد محاور تعريفاته على النحو الآتي :

- **النقص** : أمر عيني له واقع ، ويعتمد على المعايير الخارجية ، وهو قابل للقياس ، كالفقر والغباء والعجز سواء شعر به الفرد أم لا ، أي انه مرتبط بالظروف والشروط التي تعينه ولا يعد معياراً لتقييم شخصية الفرد على أساسه .

- **الشعور بالنقص** : أمر ذهني قد لا يكون مرتبطاً بالواقع ولا يشترط ان يصاحبه الشعور العاطفي بذلك ، أي ان الفرد هو الذي يضع المعيار للنقص الذي يشعر به دون فرض من الآخر .

- **عقدة النقص** : هي التجلي العملي والظهور الفعلي للإحساس الذهني بالنقص ، أي ان الفرد يسمح للآخرين بان يطلعوا على شعوره بالنقص بمعنى ان عقدة النقص ( توجب العجز عن تدارك النقص والضعف في الشخصية والشعور بنواقص لا واقع لها في الشخصية ) ( ٢٤ ، ص ١٠٠ )

### تعريف المنهج الإسلامي

يرى الاتجاه الإسلامي : إن الشعور بالنقص هو من القوى المحركة للفرد وعاملاً مساعداً في تهذيب الدوافع والميول والغرائز الفطرية وتفعيلها ، لكونه يفتح الطاقات والقابليات البشرية ويوجه أنظار

## العفراوي

الفرد إلى أهدافه وصولاً إلى الترقى والتكامل وانه بحد ذاته لا يعد عاملاً أساسياً لسد نواقص الفرد وإنما عامل مساعد لتقدمه نحو الأمام ، في الوقت الذي حذر المنهج الإسلامي من مخاطر الإفراط والتفريط فيه ( ٢٤ ، ص ٢٥ ) .

### ويعرف إجرائياً :

أنه اضطراب نفسي ينشأ عن كبت يؤدي إلى تصرفات شاذة أو مستغربة وانه عاملاً مكملً لتحرك الإنسان وتقدمه وليس دافعاً أساسياً لاستكمال الإنسان وسد نواقصه .

وعليه ، إن النقص هو القدر الذاهب من الشيء بعد تمامه أو طراً عليه نقص أو ضعف في دينه أو عقله ، لذا نحن مع الاتجاه الإسلامي ، إذ نرى أنّ الأمر يحمل في ذاته حلاً قبل انعقاده حين يفوض الإنسان أمره لخالقه ويقرن هذا التفويض بخطوات ايجابية مشحونة بالأمل وحينئذ لا تتولد عواطف مكبوتة أو خبرات مؤلمة ، كذلك نحن نتفق مع " ادلر " في جانب ولا نتفق معه في جانب آخر ، لأنه لا يرى حلاً للعواطف المكبوتة إلا بالتصريح بها امام الآخرين أو أنها تصرف بغير إرادة في حلم يراه الفرد أو في عدوان ، أو غير ذلك ، بهذا لا يعد الشعور بالنقص مرضاً نفسياً بل أمراً طبيعياً تكمله إرادة الفرد الفطرية ، وبالشعور بالنقص تنمو حوافز التحريك لإرادة الفرد نحو إيجاد أنجع الحلول لسد النقص طالما بقي متوكلاً على الله قال تعالى : ((وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ )) [ الطلاق / ٣ ] .

### منهجية البحث :

لغرض تحقيق أهداف البحث الحالي ، جمعت المادة العلمية من خلال الاطلاع الواسع على الأدبيات والدراسات ذات العلاقة بالموضوع ، ومن مشاهدات العيان والمواقف الحياتية ، ولأجل الوصول إلى المعرفة العلمية اختير المنهج الوصفي لكونه أكثر ملاءمةً لتحقيق أهداف البحث الأربعة ( ٢٢ ، ص ٣٥ - ٣٥ ) .

## المبحث الثاني - أسباب وتداعيات الشعور بالنقص

## الشعور بالنقص في ضوء النظريات العلمية

هناك أسباب ودوافع كثيرة تجعل الإنسان غير سوي في علاقته مع نفسه ، ففي الوقت الذي يقع فيه علماء النفس في مطبات كثيرة خلال مراحل تشخيصهم للعقد النفسية - بسبب قصور بعض ادلتهم بما يدور في النفس البشرية من كوامن فطرية تشد الإنسان إلى إشباعها - وكذلك قصورها بالعلة الأساس ، نجد أنّ الابتعاد عن المنهج الرباني هو مفتاح سر الكثير من العقد النفسية وما يترتب عليها من نتائج وتداعيات خطيرة .

وهنا نحاول أن نسلط الأضواء على أهم أسباب وتداعيات الشعور بالنقص وعلى النحو الآتي :

### أولاً - أسباب الشعور بالنقص

#### أ- الأسباب الحيوية :

قد ينشأ الإحساس بالنقص من عيب واقعي في البدن أو النفس ، فالقصور الجسمي والعقلي والاجتماعي والنفسي والاقتصادي ، قد يدفع الفرد إلى الشعور بالضعف والعجز الحقيقي ، مما قد يقع مورداً للسخرية والاستهزاء من الآخرين ( ٨ ، ص ٥٦ ) .

#### ب- الأسباب النفسية :

وجد أنّ مفهوم الذات السالب يجعل من الفرد معانياً" من الإحباط والتوتر والفشل وسوء التوافق النفسي وعدم الثبات الانفعالي والحساسية والانسحاب والانطواء والشعور بالنقص والعجز وضعف القيم والمعايير الدينية (٨، ص ٥٦) ، كذلك قد نلاحظ ، وجود بعض الصفات الغريبة وغيرالمألوفة عند الإنسان من غير أن تكون نقصاً حيوياً ، لكنها تبعث على السخرية والمزاح من الآخرين ، وقد تصبح علامة أو عنواناً يعرف به صاحبه ( كوجود بقعة بيضاء في جلد الفرد ، بياض في شعره ، ضعف غير طبيعي وأمثالها ) .

#### ج- الأسباب البيئية :

ومن أهمها البيئة الأسرية المضطربة فالاتجاهات التربوية الخاطئة في معاملة الأبناء لها تأثير خطير في التكوين النفسي وفي نشوء اغلب العقد النفسية فالحرمان من الرعاية وشعور الطفل بأنه غير مرغوب أو الاهتمام الزائد أو الاستبداد في المعاملة هذه الاتجاهات المتضاربة تشكل في غالبيتها منعطفات خطيرة في ذهن الطفل وتجعل منه محلاً للعقد النفسية بشتى ألوانها علاوة على الأطفال الذين يعيشون في عوائل فقيرة وتقع على عواتقهم مسؤوليات كبيرة في وقت مبكر ، عندما يقارنون أنفسهم مع أقرانهم فإنهم يحسون بعمق بالإحساس بالنقص ( ٦ ، ص ٢٠٠ ) ، كذلك فإن القيود الاجتماعية قد تكون عاملاً في نمو الإحساس بالنقص ، كالفقر والحرمان من المكانة الاجتماعية أو الحرمان من الكمال الجسمي ، ، كذلك الغنى قد يؤدي بالفرد إلى التكبر والاستعلاء ليمنع به المال عن الناس ، وما من شك في أنّ الأنظمة السياسية المتخلفة قد تكون سبباً هي الأخرى في نمو الإحساس بالنقص لدى مواطنيها ، فقد تمارس بعض السلطات بطشاً جباراً لإقناع المواطنين على عدم مقدرتهم وضعفهم لنيل أهدافهم ، وقد

## العفراوي

نجد النظام السياسي المستبد مهيمنا" على ثقافة البلاد ويوجهها باتجاه مصالحه ، فيبث الفكر الاستسلامي في نفوس مواطنيه ، مما يضعف ثقة المواطن بقدرته على تحقيق أمنه وطموحه قال تعالى : ((وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)) [ المائدة / ٤٤ ] ، وقد نجد بعض القوانين ما يبرز هيبة السلطات وتعظيمها وإضعاف المواطنين ، علاوة على وجود مناهج دراسية تؤكد شرعية السلطات في كافة ممارساتها .

لا شك في أنّ هذه السلوكيات لا تنمي انتماءً للوطن ، ولا تبني مجتمعاً أو أفراداً أقوياء يمتلكون زمام أمورهم وفق ما يعتقدون بل وفق ما يعتقد النظام السياسي المهيم .  
لذا المنهج الإسلامي يؤكد إقامة حكم إسلامي فيه كرامة المجتمع وحرية وسلامته من الأمراض والعقد النفسية ،

### - مظاهر عقدة الشعور بالنقص

هناك مظاهر متعددة لعقدة الشعور بالنقص ، ذلك أن العقد النفسية عامة متشعبة التأثير ومتنوعة الأسباب ، نظراً للفروق الفردية بين الناس في استجاباتهم للمؤثرات المحيطة بهم ، ومن أهم هذه المظاهر :

١. **الخجل والحساسية المفرطة** : إن الفرد الخجول يكون نهياً للقلق والحساسية المفرطة تجاه من حوله ، فيفقد ثقته بنفسه ويكون رهين الوحدة والشعور بالنقص ( ٣٣ ، ص ٦٤ ) وعليه ، فإن المصاب بهذا الداء - وإن كان قادراً وكفوفاً فهو لا يمتلك قدرة تحمل النقد - وإن كان في موضعه السليم ، ويتصور الناس يتصيدون زلاته وإن أي كلام سلبي يصدر منهم يعتقد بأنه موجهاً ضده كقوله تعالى : ((يَحْسُبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ)) [ المنافقون / ٤ ] .

٢. **الكذب** : هناك الكثير من المواقف النفسية تدفع الفرد إلى الكذب استجابة لمؤثرات يتعرض لها في محيطه فالمعقد بالنقص يذهب إلى خلق هالة من التعظيم حول نفسه فيتصور نفسه شخصاً مهماً يهابه الجميع ولا يرقى احد إلى منزلته ، فالكاذب يعتمد الكذب حين يجد في نفسه ضعفاً وانهماً لا يفصح به أمام الآخرين ، وقد تتطلي هذه الأكاذيب بين مرة وأخرى ولكنها سرعان ما تنكشف فيما بعد ، وإن ادعاءاته بالمباهاة لم تكن إلا سراباً ( ١٩ ، ص ١١٦-١٢٠ ) .

٣. **الصراع النفسي والانعزال** : الصراع هو العمل المتزامن للدوافع والرغبات المتعارضة وينتج عن وجود حاجتين لا يمكن إشباعهما في وقت واحد ( ٢ ، ص ٥١٢ ) ، فقد يولد عند الفرد إحساساً بالنقص إذ تتنازع في ذاته الانفعالات ، فإن كان ذا نظرة ايجابية فانه يسخر هذا الصراع نحو إعادة بناء الذات بعد اكتشاف ضعفها وإن كان ذا نظرة سلبية فانه يزداد اضطراباً وتراجعاً نفسياً مستمراً ، مما يؤدي به إلى الانعزال والانتواء هرباً من سخرية الناس ومن واقعة الأليم وإن استمر ذلك فانه يشكل مرضاً نفسياً خطيراً ( ١٦ ، ص ٢٥٦ ) .

## الشعور بالنقص في ضوء النظريات العلمية

٤. **الحقد والحسد** : إن الحقد والحسد وما يتبعهما من عمليات إسقاط العيوب على الآخرين يعبر عن نقص في الشخصية ، فالحسد حالة نفسية يتمنى صاحبها زوال الكمال والنعمة عن الآخرين نتيجة لشعوره بالذلة والانكسار أو التكبر وحب الرئاسة ( ٤ ، ص ٦٨ ) ، كذلك الحقد والبغضاء ، فلا يجرؤ صاحبها على مواجهة الحقيقة ، بل يتجه إلى وسيلة العاجزين قال الإمام علي ( عليه السلام ) : ( الحقد داء دويٍّ ومرض موبىء ) ( ٢٦ ، ص ٢٠ ) .

٥. **الاستعلاء والرغبة في الانتقام** : تمثل هذه الصفات حالة نفسية تنم عن عجز وضعف أو إرضاء لعقدة حقارة النفس ، وتظهر بشكل جلي لدى الحكومات الجائرة للتظاهر أمام الناس بالعظمة والجبروت ، إذ يروي الحاكم الظالم ظمأ الترفع والتعالي على الناس جبراً للنواقص الذاتية قال الإمام الصادق ( عليه السلام ) : ( ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلةٌ وجدها في نفسه ) ( ٢١ ، ص ٢٢٥ ) .

### ثانياً - تداعيات الشعور بالنقص

إن الشعور بالنقص لا يعد مرضاً نفسياً ، بل أمراً " طبيعياً حين يدفع الإنسان إلى تنمية قدراته والسير به نحو مرضاة الله سبحانه وتعالى ، إلا أنّ الإفراط فيه والتفريط به ، قد يتجاوز في أغراضه وآثاره الفرد إلى المجتمع ، فحين يتحول الإفراط بالإحساس بالنقص تجاه الأشياء إلى عقدة نفسية فانه يعد مرضاً يؤدي بصاحبه إلى " عقدة الدونية " وضعف الشخصية ، وقد لا يشعر بذلك في أحيان كثيرة ويدعي سلامة مواقفه وتفكيره لغلبة هذه العقدة على اللاشعور ، ولكن عندما يشعر بالعجز عن مواجهة التحديات الخارجية فانه يعتزل الحياة ويفضل الاعتكاف بعيداً عن مسببات التوتر ، وعند الاستمرار على هذه الحالة يتراكم الإحساس ويثير في نفسه الضعة والدونية ، وبالتالي يصبح ذو شخصية ضعيفة خاملة ( ٢٨ ، ص ٨٠ ) .

ونحن ندرك ، أنّ ضعف الشخصية يعيق الفرد عن استغلال طاقاته وجهوده في تنمية شخصيته ومواجهة الصعاب وفي اغلب الأحيان يكون مصيره الفشل الذريع في تحقيق نصر ايجابي لقهر هذه التحديات وعندها سيبتلى بعقدة الحقارة .

إما التفريط به ، فيوقع الفرد في ابتلاء الكبر والعجب ، فهناك من الأفراد من يتصور أنه أفضل الناس جميعاً وانه متقدم عليهم في كل مجالات الحياة ، وان كل المخلوقات الأخرى لا تستحق الحياة في نظره لأنها لا تمتلك عقلاً يتفهم معطياته ، وهناك أيضاً من يجد في المجتمع مخلوقات لا يمكن التفاعل معها ، فلا يرى في ذاته إنساناً نظيراً للمخلوقات التي على شاكلته .

إن هكذا أنماط سلوكية تجعل صاحبها مضطرب السلوك والتفكير لأنه يندفع كل الاندفاع في سبيل الحصول على التقدير والاحترام أو ينسحب من المجتمع حياً لذاته وإعجاباً بها ، وحين يطغى هذا

## العفراوي

الشعور لدى الفرد يتعاضم ويترفع ويتكبر على الآخرين تعويضا عن نقائصه وإرضاءً للنفس المغرورة ( ٤ ، ص ٥٢ ) .

وهكذا ، فإن آثار هذا المرض تزداد خطورة عندما يتجاوز المرض في آثاره الفرد إلى المجتمع ، فعندها تصاب الأمة برمتها به ، ولاسيما إذا تفشى وأصبح سمة عامة للمجتمع فإن أول آثاره الاجتماعية تكريس حالة التبعية إلى الأجنبي وغرس روح المسايرة له وإشاعة ثقافته وتأكيد روح التغريب الحضاري لدى الناس وفصلهم عن تراثهم وانتمائهم الحقيقي وعندها تنتزع القيم الأخلاقية والمعايير الاجتماعية ، لا بل تفقد الفرد حرية الفكرية والإبداعية وتحوله إلى إنسان سطحي ومهزوم ( ٢٨ ، ص ٧٧ ) .

ومما لا شك فيه ، أن الدين والتاريخ والثقافة تولد العزة والكرامة للشعوب ، فإذا تغرب الشعب عن دينه وتاريخه ، فإنه سيفقد هويته وأصالته وعزته ، وحينئذ يسهل ترويضه واستخدامه ويشير القرآن الكريم إلى ذلك في قصة فرعون مع قومه إذ قال تعالى : ((فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَّاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)) [ الزخرف / ٥٤ ] ، ولهذا سعت الدول الاستعمارية بكل قواها - ومنذ سنين - إلى جر الأجيال المسلمة إلى هذا الواقع المأساوي .

وهكذا نستنتج مما تقدم ، أن الابتعاد عن المنهج الرباني مفتاح سر الكثير من العقد النفسية ، فعقدة الشعور بالنقص تكون ايجابية إن كان الإنسان يهدف بها مرضاة الله جل وعلا ، لكن الإفراط والتفريط بها يعد مرضاً إن تحول بصاحبه إلى ابتلاءات الكبر والتعالي والعجب بالنفس ، لذا تبقى الأمور كلها ترجع إلى ماهية الحياة في نظر الإنسان قال تعالى : ((إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)) [ الإنسان / ٣ ] .

وها نحن أولاً ، قد اهتدينا السبيل في تحقيق الهدف الأول من البحث الحالي .

### المبحث الثالث - الشعور بالنقص في ضوء النظريات النفسية الحديثة

واجه المجتمع الغربي تحديات كثيرة بين القرنين الثالث عشر والثامن عشر الميلاديين ، أدت إلى تحولات جمة في المعتقد والفكر والسلوك ، وعلى اثر ذلك نشأت حركة التجرد من الدين ومتعلقاته التربوية

## الشعور بالنقص في ضوء النظريات العلمية

وما تتطلبه من ضوابط ، إذ عدّ الدين نتاجاً لظروف بشرية معينة ، والسبب في ذلك يعود إلى سيادة المؤثرات الفردية التي أنتجتها المادية والتي جعلت من الإنسان الغربي لا يرى معنى " لذاته فاتجه إلى العبثية أو سعى لاعتناق عقائد خرافية تلبّي عنده بعض الحاجات الروحية علاجاً " أنياً" لانفعالاته النفسية ، إلا انه لم يحقق نصراً ايجابياً لقهر هذه الانفعالات فتتولد لديه خبرات مؤلمة تثير في نفسه مشاعر العجز والضعف ، الأمر الذي أدى إلى تنامي العقد النفسية في تلك المجتمعات الغربية ، ومن هنا ، فقد اهتمت نظريات علم النفس المعاصر بدراسة هذه المشاعر الإنسانية ، وفي ما يلي نذكر أهم هذه النظريات في المطلبين الآتيين :

### المطلب الأول - نظرية التحليل النفسي

يعدّ فرويد مؤسس هذه النظرية ، فهو يرى أنّ الشخصية تتكون من ثلاثة نظم هي : ( الهو ) و ( الأنا ) و ( الأنا الأعلى ) وهذه النظم موجودة بالطاقة النفسية الجنسية ( اللبيدو ) التي تحرك الشخصية وتدفعها في اتجاهات مختلفة نحو المرض أو الصحة ( ٧ ، ص ١٣٨ ) ، أي إن السلوك يأتي محصلة" لتفاعل هذه النظم الثلاثة ، فالهو ( ID ) : موطن النزعات الحيوانية واللامنطقية والغريزة في الإنسان ، بينما الأنا ( Ego ) : هي الجزء العاقل الواعي الذي يوفق بين متطلبات الهو والواقع ، إما الأنا الأعلى ( Super Ego ) : فهي الضمير او الرقيب الذي يتكون في المراحل الأولى بسبب الضغوط الاجتماعية على الطفل ( ١٨ ، ص ٢١١-٢١٠ ) ، أي انه الدرع الأخلاقي للشخصية فهو ينزع الكمال بدلاً من اللذة وينحو نحو المثالية ويتجاوز الواقع ( ٣٤ ، ص ٥٣ ) ، وإذا سألنا فرويد : ما الذي يسبب فقدان المرء للقدرة على التحكم في سلوكه ؟ يجيب : إن فقدان المرء للتحكم في سلوكه ينشأ من خلال استجابة الأنا بطريقة سلبية نتيجة لاستخدامها حيل الدفاع النفسي ( ٣٢ ، ص ٣٣٥ ) ، ويعطي فرويد وزناً كبيراً للغريزة الجنسية أنها المصدر الوحيد للذة التي من أجلها يتحرك الإنسان وتعمل بقية الغرائز الأخرى ، أي انه ينظر إلى الإنسان من زاوية الشهوة الجنسية ،

ويعمل من اجل فسخ المجال التام أمام ممارستها لان عدم فسخ المجال للناس في إرضاء ميولهم الجنسية سيجعل الأفراد يصابون بعقد نفسية ومن ثم يحسون بالحقارة والنقص في نفوسهم فتظهر فيهم ردود فعل مختلفة ( ٢٦ ، ص ٣١٨ ) ، أي انه يرى هناك صراعاً دائماً داخل الإنسان بين الهو

## العفراوي

والأنا والأنا العليا ، يدفع به نحو الشعور بالنقص نتيجة لميول جنسية مكبوتة في أيام الطفولة ، وان هذه الميول لا تزول ، بل تنتقل إلى اللاشعور وتنشأ ردودها المختلفة طوال الحياة مما تؤدي إلى شخصية منزوية تشعر بعقدة الحقايرة والنقص ، كذلك يرى فرويد أنّ معظم العوامل الاجتماعية والبيئية والدينية ترجع إلى دوافع جنسية ، فالحب والإبداع مظهر من مظاهر إعلاء الغريزة الجنسية فهذه الغريزة في نظره عبارة عن قوة سببها التوترات وهدفها هو القضاء على هذا التوتر وموضوعها هو الأداة التي تحقق الإشباع ( ٩ ، ص ١٣٠ ) ، كذلك يذكر فرويد حالة أخرى تواجه الفرد وهي : إن الفرد محاط بهالة من ( الحصر ) : وهي الخوف والكبت وهي ثلاثة أنماط ( حصر الواقع ) : أي الخوف من الواقع والمجتمع ، و ( الحصر العصابي ) : وهو الخوف من الغرائز وعدم السيطرة عليها ، و ( الحصر الأخلاقي ) : وهو الخوف من الضمير ، أي أن الفرد يخاف أن يفعل شيئاً مخالفاً للمعايير الأخلاقية التي تربي عليها ، وان وخز الضمير هذا ناتج من تجربة سابقة ، إذ عوقب فيما مضى ويخاف أن يعاقب مرة أخرى ، فيعيش في صراع مستمر قد ينتهي به إلى الفشل والشعور بالنقص ( ٣٤ ، ص ٦٧-٦٨ ) ، وان هذا الشعور في نظر فرويد أمر سلبي ناتج عن كبت جنسي سماه ( عقدة اوديب ) عند الرجال و ( عقدة الكترا ) عند النساء وان الشخص المصاب بهذه العقد شخص مريض غالباً ما تكون ردود أفعاله أقوى من رغباته الأصلية في التوازن وحين يندفع إلى عمل شيء ما من أجل تعويض مشاعر النقص التي لحقت به يجد أنّ الدافع للتعويض يكون أقوى من الرغبة الأصلية المحيطة به ، فنراه يحاول الإفراط في التعويض أو ما يسمى بـ ( التعويض الزائد ) ( ١١ ، ص ١٤٤ ) ، فان الكيان النفسي في رأي فرويد يتعرض لخلل واضطراب نتيجة العجز الوظيفي لقسمي الأنا والأنا العليا عن أداء مهامهما ، فهو يفسر كل العلاقات العاطفية بالازدواج فعقدة اوديب : هي عقدة نفسية تظهر بوادرها عند الطفل بعد اجتيازه مرحلة السادسة من عمره إذ يمر بموقف جنسي محرج ، أي تتحول الميول الجنسية لديه إلى أمه وهي أول كائن خارجي يؤثر فيه ، وحين يصطدم بوجود الأب تتنابه الغيرة والأناانية للتخلص منه ولكونه يحب أباه يعيش في صراع مستمر يزداد يوماً بعد يوم ينتهي به إلى ظهور عقدة نفسية لا شعورية ولكونه يشعر بالذنب تنشأ لديه ( عقدة الذنب ) في طفولته ، فتستمر هذه العقد تؤثر على سلوكه فيما بعد تنتهي به إلى الشعور المكتئب بالفشل والعجز والضعف ( ٣ ، ص ٩٢ ) .

### منشأ عقدة النقص عند فرويد

مما لاشك فيه أنّ فرويد كان محللاً نفسياً حاذقاً ، اهتم بتحليل الشخصية تحليلاً كاملاً وكشف عن الجوانب الشعورية واللاشعورية فيها ، وحرص على إبراز أهمية الغرائز الفطرية وأثرها في السلوك ،

## الشعور بالنقص في ضوء النظريات العلمية

وبالأخص الغريزة الجنسية ، كما انه أول من تطرق في نظريته لمبحث الشعور بالنقص والعقد النفسية والسبب في ذلك يعود إلى :

- انّ فرويد عاش في طفولته مشاكل نفسية كان لها بعض الأثر في تصوراته وأفكاره اذ كان يشعر بان والده يعد المنافس له في حب أمه وقد رافقه هذا الإحساس حتى الكبر ، كما انه كان معرضاً للاستهزاء والسخرية منذ شبابه لاعتناقه اليهودية ، زيادةً على أنه عاصر النهضة الصناعية في أوروبا وفترة الهجوم على الكنيسة ومحاربة الدين الأمر الذي أدى إلى ظهور أمراض وعقد نفسية متعددة أبرزها ما يتعلق بالأمور الجنسية ، وبما انه اطلع منذ صغره على أمور تثير شهوته الجنسية وهو لم يستطع أن يطفئ هذه الشهوة إذ تكونت عنده عقدة نفسية رافقته حتى الكبر ، وبذلك سحقت شخصيته وعزة نفسه مما جعله ينظر نظرة تشاؤمية تجاه الدين الذي سبب له التحقير والاستهزاء فما كان منه إلا أن يميل إلى التطرف والابتعاد عن المؤثرات الدينية ، لا بل راح يثار لكرامته وإحساسه بالضعف والحقارة فاستغل بحوثه النفسية لمناهضة الدين والعقيدة وبدلاً من أن يجعلها تدور حول الإنسان اخذ يبحث عن الجنس والدفاع عنه بكل قوة فرأى أنّ الإنسان السعيد هو الذي يروي ظمأه الجنسي بأي طريق شاء ( ٢٦ ، ص ٣٢٠ ) .

نستنتج مما تقدم : أنّ نظرية فرويد عدّت الغريزة الجنسية هي المحرك الأساس للإنسان والمصدر الوحيد لجلب اللذة والسعادة ، وان هناك صراعاً مستمراً بين نظم الشخصية الثلاثة ( الهو ، الأنا ، الأنا العليا ) ، وان الفضائل الأخلاقية مجرد اعتبارات اجتماعية لا واقع لها في الخارج وان السير خلاف هذه القيم ينتهي بالفرد إلى الإحباط والفشل ، وان كل مشاعر النقص والعقد النفسية ناتجة عن كبت جنسي منذ الصغر تتعكس آثارها السيئة على سلوك الفرد مستقبلاً

### - بعض المآخذ على نظرية فرويد

إن النظرية بوصفها طريقة علاج اهتمت بعلاج أسباب الاضطرابات النفسية وتحرير الفرد من الدوافع المكبوتة واستثمار طاقاتها واهتمت بالسنوات الأولى من حياة الفرد وبأثر المحيط الثقافي والاجتماعي على نمو السلوك ، ولكن لنا بعض المآخذ عليها :

١. إن حياة فرويد الشخصية لها اثر بالغ في صياغة نظريته هذه ، فعقدة اوديب عاشها فرويد نفسه

٢. إن كان قد ابهر معاصريه في تحليله للنفس ، الذين لا خلفية لهم في علم النفس ، لكنه لم يبهر

المفكرون المسلمون لأنهم أول من وضع قواعد علم النفس .

٣. عدّه الغريزة الجنسية المحرك الأساس للإنسان ، بل حتى الروحانيات أساسها الجنس ، وقد انتقده

لذلك ابرز معاصريه أمثال [ يونك ، ادلر ، هورني ..... ] .

٤. أهمل النزعة الأخلاقية وهذا يجعل الفرد يعيش في صراع مستمر لعدم إمكان إشباع تلك الغريزة

أمام المحرمات الاجتماعية .

## العفراوي

٥. أجرى بحوثه على المرضى والمضطربين وهذا لا يمكن تعميمه على الأفراد الطبيعيين ، فالمصابين بفقدان هذه الغريزة فطرة أو مرضاً هم أفراد طبيعيين شأنهم شأن الذين لم يتزوجوا ولم يمارسوا الغريزة البتة ، وفي واقعنا الاجتماعي ما يدل على ذلك ان الحياء والالتزام الأخلاقي من شأنها أن تهذب من تأثير هذه الغريزة ومن ثم فلا يكون لها اثر في حياة الأفراد الطبيعيين ، لان قيمهم ومثلهم العليا جعلتهم ارفع من أن ينساقوا وراء شهواتهم وغرائزهم .

وعليه ، فان آراءه لم تثبت صحتها علمياً ، فهي مجرد تصورات فلسفية ، فكان طبيعياً أن تسيطر على النفوس في مجتمع مهزوز ، فهو يرمي إلى نشر الإباحية في المجتمع العالمي وزعزعة الأخلاق بحجة الظن الفاسد المتمثل يعدّ هذه الإباحية دواء مناسب للصحة النفسية ، لا بل هي مرض خبيث تنزل المجتمع الإنساني وترديه إلى مستوى المجتمعات الحيوانية ، فالرذيلة والتحلل واختلاط الأنساب لا تتلاءم مع المجتمع الفاضل ، فبهذا ، هل يمكن للإنسان أن يأمن على شرفه وعفته في مجتمع تسوده الفوضى الأخلاقية؟! هل كان فرويد جاهلاً بالواقع بسبب عقدة النقص التي يحس بها ضد الدين ، وهو الذي يدعي الاستجابة لنداء الواقع دائماً؟! كيف يدعي أن عقدة النقص ناتجة عن كبت جنسي؟! بأي جرأة علمية يقول : إن الإنسان السعيد هو من يروي ظمأه الجنسي بأي طريق شاء ، دون أن يلتفت إلى الفضائل الأخلاقية؟! هذه أسئلة ينبغي ان يجيب عليها الأناس المتقفون الواعون .

### المطلب الثاني - نظرية علم النفس الفردي

يعدّ ادلر صاحب هذه التسمية ويعني بعلم النفس الفردي " Individual Psychology " علم نفس الإنسان أي ( كل واحد ) لا يقبل التقسيم ، وان كلية الإنسان تنشأ من خلال المجتمع من جهة والمحيط من جهة أخرى أي ان الإنسان كائن اجتماعي في طبعه له غرائز فطرية تحركه وتكون شخصيته ( ٣٤ ، ص ١٦٠ ) ، فهو مرتبط بالآخر ويمارس أنشطة اجتماعية ويكسب في أثناء نموه أسلوب الحياة ويتسم بالتعاون والاجتماعية أي انه يتم تطبيعته اجتماعياً من خلال علاقاته مع الآخرين وان شكل هذه العلاقات وصياغتها تتحدد بنوع المجتمع ونوع النظم الاجتماعية السائدة فيه وان كل اهتماماته الاجتماعية فطرية النشأة ( ١٢ ، ص ١٦٧ ) ، لذا يمكن أن نعرض أهم مباني علم النفس الفردي ، على النحو الآتي :

### ١. الكفاح من اجل التعويض ( تعويض النقص )

في هذا الصدد نواجه هذا التساؤل : من أين يأتي الكفاح في سبيل التفوق ؟ وما هي الأنماط المحددة لهذا الكفاح ؟ يقول ادلر : إن هذا الكفاح فطري وانه جزء من الحياة فمنذ الولادة حتى الوفاة يحمل الكفاح في سبيل التفوق من مرحلة نمو إلى أخرى ، وان هذا الكفاح يعرب عن نفسه بعدة طرق ،

## الشعور بالنقص في ضوء النظريات العلمية

فلكل شخص أسلوبه الخاص لبلوغ الكمال ، فالعصابي مثلاً يكافح من اجل مصلحة فردية ، بينما السوي يكافح من أجل هدف اجتماعي ( ٢٤ ، ص ٩٧ ) ، أي إن الهدف النهائي للإنسان أن يكون عدوانياً ، قوياً ، متفوقاً ، أما بالنسبة للأنماط المحددة للكفاح فيرى ادلر أن إصابة الفرد بعجز ما في عضو ما يشير إلى ضعف بناء هذا العضو فيحاول تعويض النقص بالعمل على تقويته بالمزيد من التدريب العميق وقد يتضمن هذا الشعور بالنقص نواحي نفسية واجتماعية أو عضوية وحين يشعر الفرد بهذه الدونية يندفع إلى التعويض الزائد وان هذا الكفاح يسير موازياً مع النمو الجسمي ويعد بمثابة ضرورة واقعية للحياة نفسها وحالاً لمواجهة مشكلات الحياة أي أن كل وظائف الفرد تكافح من اجل تحقيق التفوق والسيطرة وهذا ما يدفع الفرد لتخطي الصعاب باستمرار من الأسفل إلى الأعلى دون توقف ( ١٢ ، ص ٦٨ ) ، بمعنى أن حماية الذات ومبدأ اللذة والتعادل ما هي إلا محاولات غامضة للتعبير عن الدافع الأعظم إلى الأعلى ، أي إن الشعور بالنقص يعد من أقوى الدوافع وان الفرد يحاول في بداية سلوكه التعويض عن نقصه فان فشل استبدل التعويض الواقعي بالتعويض الوهمي فمن لا يملك شكلاً جيداً يعوضه بالتصرف الخفي والعقلي الجيد وإلا يلجا إلى الأحلام والأوهام ليحقق ما عجز عنه سلوكياً ووراثياً ( ٦ ، ص ٢٠٠ ) ، وقد تؤدي عقدة النقص إلى السلوك المنحرف أو محاولة إشباع قوة الذات ورغبة الاستعلاء والتظاهر وذلك بوساطة الانضمام إلى العصابات المنحرفة أي إن الفرد مدفوع بغريزة لا تشبع من القوة والسيطرة للتعويض عن النقص والدونية ويؤكد ادلر إن الأسلوب الخاطيء للفرد ينشأ من خبرات الطفولة في أثناء عملية التنشئة الاجتماعية التي تشمل ثلاثة أنواع من الأطفال هم أطفال يعانون من مشاعر النقص أو مدللون أو مهملون ( ٢٣ ، ص ٥٣ ) ، لذا أن ادلر يزعم أن مشاعر النقص ليست علامة على الشذوذ وإنما هي سبب كل ما يحققه الفرد من تحسن ، فبعض الظروف غير السوية تنشأ مظاهر شاذة كعقدة النقص أو عقدة تفوق تعويضية ، أما في الظروف السوية فان مشاعر النقص تكون قوة دافعة للتغلب على النقص وان كانت مشاعر النقص مؤلمة ، فان التخلص منها لا يجلب اللذة فالكمال هو هدف الحياة عنده وليست اللذة .

### أهمية البعد الاجتماعي :

يقول ادلر : إن الاهتمام الاجتماعي هو التعويض الحقيقي لما يعانيه الفرد من ضعف طبيعي وان هذا الاهتمام فطري فمنذ الطفولة الباكرة يسعى الطفل لإشبعاته من خلال سياق اجتماعي وتتطور ممارساته وحين يشعر بالنقص في مواجهة بعض المعوقات يتحفز للعدوان ضد مصادر الإعاقة ساعياً

## العفراوي

إلى القوة ثم الكفاح من اجل التفوق ، فالعمل من اجل الصالح العام ، يعوض الإنسان ضعفه الفردي ، وان الشخصية تسير على وفق مبدأ الغائية وتعيش متطلعة إلى المستقبل ( ٢٤ ، ص ١٠٦ ) أي إن الإنسان تحركه أهداف مستقبلية أكثر مما تحركه خبراته الماضية .

### ٢. الذات المتفردة :

وهي العنصر الدينامي النشط في حياة الفرد وتبحث عن الخبرات وتنتهي بتحديد أسلوب حياة الفرد وسلوكه ، وهي متغيراً وسيطاً بين المنبهات والاستجابات وإنما تعمل من خلال ما يقدمه المجتمع للفرد ، وتؤدي التربية دوراً كبيراً في قيام الذات المتفردة بدورها بطريقة أكثر نضجاً فهي المبدأ الايجابي النشط للحياة الإنسانية ( ٩ ، ص ١٢٩ ) .

### ٣. أسلوب الحياة :

ويبدأ ببداية السنة الرابعة أو الخامسة ، أي إن الفرد يتخذ لنفسه أسلوب حياة يؤدي إلى تحقيق هدف الحياة وهو تحقيق الذات ، وتلعب امكانيات الفرد الموروثة وخبرات نموه منذ الطفولة دوراً هاماً في تحديده ( ٨ ، ص ٢٥٠ ) ، أي إن أسلوب الحياة تعويض عن نقص معين ، فالبعض يتخذ هدفاً للعلم أو الرياضة أو العلاقات الاجتماعية ... الخ .

### ٤. الأهداف النهائية الوهمية :

يرى ادلر أنّ الفرد يتجه نحو هدف ما وهو وحده الذي يستطيع تفسير سلوك الفرد ، فقد يكون هدفاً وهمياً ( مثلاً أعلى ) يستحيل تحقيقه لكنه مع ذلك يعد حافزاً حقيقياً يحث الفرد على بذل الجهد وفيه التفسير النهائي لسلوكه ، والذي يهدف ان يكون كاتباً تجده ينتهج سبيلاً موافقاً لهدفه وهكذا ... أي إن الفرد يعيش مواقف كثيرة على أفكار وهمية وقد تسير حياته على وفقها ، وتعد أهدافاً يهفو إلى تحقيقها ومن ثم يدفعه الوهم لتحقيق ذلك ، إلا إن الفرد ذو المنهج العلمي يستطيع أن يتجاوز هذه الأفكار حين يسير بموضوعية نحو تحقيق أهداف تتسم بالمنهج العلمي ( ٣٤ ، ص ١٦١ ) .

وعليه ، أن ضيق مجال الأبوين عن منح أبنائهم التربية النفسية الملائمة يجعلهم عاجزون عن سد احتياجات أبنائهم واكتسابهم الثقافة والتربية السليمة ( ١٤ ، ص ٨٠ ) ، كذلك وجد في دراسة عن السمات الشخصية المميزة للمتوافقين والمضطربين نفسياً تبعاً لمتغير الجنس وباستخدام " كاتل " إن فئة المضطربين نفسياً كانوا أكثر خجلاً وقلقاً ومعاناة لمشاعر النقص والدونية ( ٢٩ ، ص ٧٥ ) .

نستنتج مما تقدم ، أنّ ادلر ركز على الصدمات النفسية والمؤثرات الثقافية والاجتماعية فحينما يصعب على الفرد أن يتخذ أسلوباً في الحياة ، يستطيع أن يعوض ما يشعر به من نقص ، فيخاف من الفشل في تحقيق هدف الحياة فيلجأ إلى حيل الدفاع النفسي ، كذلك اهتم بأثر العلاقات الدينامية داخل الأسرة في تحديد أسلوب الحياة واهتم ببيكولوجية الطفل المدلل والطفل المهمل والطفل الذي يعاني من مشاعر النقص وان عدم إصلاح هذا الشعور يدفع الفرد إلى الابتلاء بمرض " عقدة الحقارة " .

## بعض المآخذ على نظرية ادلر

على الرغم المفاهيم المهمة التي قدمتها نظرية ادلر في الشخصية التي أضفت على الإنسان تعاوناً ووعياً وأعطت له صورة أكثر إرضاء وإحساساً بالكرامة وأكثر قدرة على أن يكون سيد مصيره لا عبده ، نلاحظ بعض المآخذ عليها :

١. التركيز على تفرد الشخصية ووجود الذات المتفردة وفي هذا بعض الإسراف في التفاؤل .
٢. إهمال النظرية لمفهوم التعلم الذي يحدد بالدقة كيفية اكتساب الإنسان للطابع الاجتماعي ولماذا يتباين الأفراد تحت بعض الظروف المتشابهة وكيف يتم اكتساب القيم والاتجاهات وكيف يتم الاختيار من جانب الذات المتفردة .
٣. عدّ الشعور بالنقص بحد ذاته دافعاً محركاً أساسياً لسد نواقص الإنسان مع إننا نعتبره عاملاً مساعداً ومكماً لتحرك الإنسان وتقدمه وإلا فلماذا لم يتحرك جميع المعوقين نحو سد نقصهم وجبر ما فقدوه ، بل يستسلم الكثير لهذا النقص مع اعترافهم بوجوده وإحساسهم به .
٤. قيام النفس بدافع غريزة حب الذات بمحاولات عديدة لسد ذلك النقص بطرق وأساليب وهمية دافعاً للألم دون اهتمام بصحة الطريق الذي تسلكه لسد ذلك النقص وهذا ما يأمر به هوي النفس ، في حين من يتخذ طريقاً واقعياً ويسعى لطلب الكمالات المعنوية قد تتغير نظرتة عن نفسه ويحضى باحترام المجتمع وتقديره وهذا ما يحكم به العقل الإنساني .
٥. جعل حالات العدوان على الغير جبراً لمشاعر النقص والحقارة مع ان الفرد إذا أحس بالقدرة في نفسه فانه لا يحقد على الآخرين .

٦. اللجوء إلى اتهام الآخرين بالنقص ، أي إلقاء الفرد نقائصه على غيره للتخلص منها قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ)) [ الحجرات / ١ ] .

وهكذا نجد كيف يجعل ادلر سبب الشعور بالنقص والدافع نحو التكامل وطريق العلاج كله متوقف على المجتمع ونظرتة إلى الفرد ، وهذا يعني اهتماماته بالجانب الاجتماعي والمادي في تشخيص سبب الأمراض والعقد النفسية وكيفية علاجها ، مع إننا نجد في هذا المنهج محدودية لا تفي بالعرض ، حيث أنكر الجانب المعنوي واسقط الانتماء إلى الله من حساباته وترك الإنسان أسيراً لآراء الناس وأقوالهم مع إن رضا الناس غاية لا تدرك ومن ثمّ سيعيش الإنسان مشنتت الفكر مضطرب المشاعر ، ومن هذا المنطلق تبقى مسألة الانتماء إلى الله هي الأصل في مقابل الانتماء إلى المجتمع التي هي فرعاً من ذلك الأصل . وهكذا نستنتج مما تقدم ، إننا لا نستطيع أن نعتمد على نظرية دون أخرى لان كل نظرية فسرتة من زاوية معينة ، وان كنا نتفق مع ادلر في جانب ولا نتفق معه في جوانب أخرى ، إلا إننا بالنهاية لا نتفق مع النظريتين لأنهما أهملتا الجانب الروحي مع انه جزءاً من فطرة الفرد الذي باستخدامها يصل الفرد إلى الرقي والتكامل وان من أهملها فهو ( حيوان ) في لباس إنسان وان نظريته هذه ناقصة ومنحرفة ،

وباجتماع هذه التفسيرات الكلية للشعور بالنقص يتكون لدينا وصفاً شاملاً للوضع النفسي الظاهر لعقدة الإحساس بالنقص .

### المبحث الرابع - التفسير الإسلامي لظاهرة الشعور بالنقص

لقد اهتم الدين الإسلامي بالجانب النفسي للإنسان واستخدم عدة أساليب لتأمين الاطمئنان الروحي والتوافق النفسي له ، وقد أسس ومبادئ وقائية وعلاجية لما قد يتعرض إليه الأفراد من أزمات وعقد نفسية فقد حث على التوجه إلى النفس والتعرف على أسرارها ، إذ أن أفضل وسيلة لمداراة النفس هو جريانها مع فطرتها وعدم مخالفتها للطبيعة التي هي عليها ، فالهدف الذي تسعى إليه الرسالة الإسلامية هو بناء الذات الإنسانية المتكاملة وليس كما يفعل " أصحاب الملامة " : وهم طائفة من الصوفية كان منهجهم يؤكد على إذلال النفس واحتقارها مهما استطاعوا في أنظار الآخرين وتمريغ سمعتها بالتراب ( ٣٠ ، ص ٩٢ ) ، والواقع ، إن هؤلاء يفقدون عزة النفس وكرامتها فهذا الإفراط في أخلاق بعض الاتجاهات الصوفية يرفضه الإسلام لأنه ينظر إلى كرامة النفس وعلو شأنها محورا" للأخلاق الإسلامية ، فنحن الذين يتعين لنا أن نصوغ أنفسنا ، كيف نصوغها لتكون الأجل من الناحية الروحية والنفسية ؟ إن الإنسان يبدأ ضعيفاً ناقصاً عندما تلده أمه لا يعلم شيئاً قال تعالى : ((وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا )) [ النحل / ٧٨ ] ، ولكن لديه الاستعداد للراقي والتكامل بفضل قدرته وإرادته الذاتية ، هذا ، ويمكن تقسيم هذا المبحث إلى عدة محاور كالتالي :

### المحور الأول - رؤية القرآن للنفس الإنسانية

لقد نزل القرآن الكريم مهيمناً على الكتب السماوية وليقود الإنسانية إلى سلم التكامل ، فمذ بزوغه هتف بالنفس الإنسانية المتحيرة وبشرها قائلاً : (( يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ )) [ يونس / ٥٧ ] ، وقد أكد انه لا عبثية في خلق العالم وإنما هناك هدف سامي من وراء هذا الخلق ، فإله سبحانه جعل الإنسان خليفة في الأرض وفضله على سائر المخلوقات ومنحه مجالاً واسعاً للحركة والحرية في التفكير والإرادة والاختيار ، ومع أن الإنسان يسعى لطلب السعادة وتجنب الشقاء إلا انه يغفل عن السعادة الحقيقية - مع انه هو مصدرها - السعادة التي لا يمكن أن تتحقق إلا بإتباع الأحكام والتكاليف الإلهية ، فالسعادة تجعل الإنسان يفكر متعادلاً مطمئناً ، بينما الشقاء يجعله مضطرباً ، فكلما كان الفرد يقع تحت سيطرة عامل واحد كلما كان أكثر ثباتاً ، على حين إن الانموذج المضطرب هو الذي يتأرجح بين عدة عوامل وأهداف ، لذا الجانب النفسي والمعنوي أهم من الجانب الجسمي لأنه يمثل حقيقة الفرد وإنسانيته وبه يتكامل ومن اجله خلق فما يصيب النفس من أمراض يكون خطراً على مسيرة الإنسان ومنهجه فكما النفس تعبر عن حقيقة الإنسان فان البدن يعد جهازاً لتنفيذ أوامر هذه النفس ، من هنا ، كان اهتمام القرآن بالصحة النفسية أكثر من اهتمامه بالصحة

## الشعور بالنقص في ضوء النظريات العلمية

الجسدية ، فالقلق والكآبة والهستيريا والعقد النفسية حين تسري إلى المجتمع تؤدي إلى فسادها ومن الصعب السيطرة عليها ، بخلاف الأمراض الجسدية التي يمكن معالجتها .

وهكذا ، نجد أن القرآن يدعو إلى وحدة القول والفعل لتحقيق الانسجام الظاهري والباطني في الشخصية ، فان ابرز ما يتوجه إليه التشريع الإسلامي في مصادره فكرة السعي نحو الكمال الذاتي والإحساس بقوة الشخصية وعلاقتها مع الآخر ، لان من يشعر بالضعف والعجز وانه فاشل وحقير ، فانه يضعف الثقة بنفسه ويتحطم من الداخل ، و لاسيما حينما يسرف في هذا التفكير وتستحكم الفكرة في مخيلته فحينئذ يصبح حقيقة مصاب بعقدة النقص والحقارة ، فالإسلام يؤكد هدفة خلق الفرد ، وان على الفرد أن يعي بأنه لم يخلق عبثاً بل له هدف وغاية وله القدرة على تحقيق ذلك الهدف لما يملك من دوافع وأودعها الله سبحانه في فطرته ، فعندها سيعيش اتزاناً نفسياً ورضى بما قسم له ، فلم يجد ما يقلقه أو يحط من قدره ، وهنا نتساءل : ما هي هذه الدوافع الفطرية التي تحفز الإنسان على الحركة والتقدم ؟ من أهم هذه الدوافع ، الدوافع الفطرية والدوافع المكتسبة ، **فالدوافع الفطرية** : هي التي توجد لدى الفرد منذ ولادته وتشمل : الإدراك والميل إلى المعرفة والاطلاع على حقائق الوجود ، فكل ما يحيط بالعالم من تطور حضاري وعلمي دليل على وجود هذا الميل الفطري ، ولما كانت المعرفة لأي موجود لا تتم إلا بمعرفة علله الوجودية - وان سلسلة العلة تنتهي إلى ذات الله سبحانه - فان السير العقلي للإنسان ينتهي إلى معرفة الله تعالى ، هذا إضافة إلى دافع القدرة والتسلط والحب والعبادة والكمال واللذة ..... ، **إما الدوافع المكتسبة** : فهي التي يكتسبها الفرد من بيئته ويكلف بالتحلي بها ، مثل : الخوف من الله والرجاء به فهما صفتان ضروريتان لتعادل الفرد من جهة ولحركته وبعثه من جهة أخرى فهما حالة نفسية لهما آثارٌ إيجابية في سلوك الفرد بهما يشعر الفرد بالفتاعة والنظر إلى الآخرين نظرة الكفاء فلا يشعر بالذلة والنقص أمامهم ، أما الرجاء والخوف من غير الله فانه يجر الفرد إلى النظر إلى ما في أيدي الناس وعقد الآمال عليهم ، مما يدفعه إلى التذلل والشعور بالنقص أمامهم ( ٢٧ ، ص ٣٧ ) ، وعليه ، إن كانت هذه الدوافع فما هو إذن دور الشعور بالنقص في تهذيب تلك الدوافع وتفعيلها ؟

### المحور الثاني - دور الشعور بالنقص في حركة الإنسان

إن دور الشعور بالنقص يظهر في جميع أنواع الميول والغرائز الفطرية ، لأنه يفتح الطاقات والقابليات الكامنة في النفس البشرية ويدفع الفرد إلى تحقيق أهدافه المنشودة ، ويزرع في نفسه الاعتزاز والسعي إلى التفوق وإثبات الذات وكذلك الكفاح من اجل تحقيق الرقي والتكامل ، ، فان دافع الإدراك وحاجة حب الاستطلاع والاستكشاف والميل إلى المعرفة لا يمكن أن يمارس دوره ويعطي أثره إلا إذا أحس الفرد بأنه يفتقر إلى المعرفة وان أمامه مجهولات كثيرة ينبغي اكتشافها والتعرف عليها ، فحين يشعر الفرد بعدم الحاجة لذلك وأحس بكماله فقد تنطفئ أمامه أنواع المعرفة والهداية ، قال النبي محمد ( صلى

## العفراوي

الله عليه واله (وسلم) : ( من قال : أنا عالم فهو جاهل ) ( ١٣ ، ص ١٣٧ ) ، كما إن دافع القدرة والتسلط لا ينشط إلا إذا شعر صاحبه بالعجز والنقص ، فحين يشعر الفرد بالاكتماء وعدم الحاجة فانه لا يتطور ولا يتقدم ، ونحن نعلم أن الذي يحرك البشرية هو شعورها بالنقص والقصور في القدرة مقابل الآخرين ، لذا ان التكامل والتقدم بحاجة إلى وجود الهدف وحاجة الإنسان الماسة لتحقيق هذا الهدف ، إن الإحساس بالنقص لا يعد مرضاً نفسياً بل أمراً طبيعياً تكمله الإرادة التي أودعها الله سبحانه في الفرد فيها يسعى لتحسين قدراته وتنميتها ، وبالإحساس بالنقص تنمو حوافز التحريك لإرادة الفرد نحو إيجاد أنجع الحلول لسد النقص ، وقد ركز الإسلام على إن هدف الفرد النهائي هو الوصول إلى الله جل وعلا ، أي أن الشعور بالنقص يكون ايجابياً حين يكون مرتبطاً برضا الله سبحانه ، إذ يسعى الفرد إلى التوجه إليه وعبادته ، فالدافع الفطري يحمله إلى هذا التوجه نحو الكمال المطلق ، فهذا التوجه يسد الحاجة ويشبع هذا الدافع حين يتجه إلى عبادة خالقه بأقصى طاقته وجهده ، فهذه الحالة في نظر الإسلام صحية وليست مرضية أو سلبية ، ورأينا كيف خرجت اليابان من الحرب مستسلمة ومهزومة بعد إلقاء الولايات الأمريكية قنبلتين ذريتين على " هيروشيما وناكازاكي " ، لكنها عوضت مخلفات الحرب بعباء ايجابي وجهود مشحونة بالأمل لإعادة البناء على جميع الصعد ، فالإبانيون اتخذوا من الهزيمة العسكرية والسياسية باعثاً على استثارة كوامن ذواتهم وما تحوي من طاقات خلاقة ، أما بلاد المسلمين فقد استعمرت هي الأخرى ولم تتعرض لهزائم شديدة في حروب طاحنة إلا إنها لا زالت تعتبر من دول التخلف ، فقد ضرب الشعور بالنقص أطنابه فيها فلا نجد سوى مواقف سلبية تلقي باللوم على المستعمر وما نتج عنه من أنظمة سياسية واقتصادية واجتماعية متخلفة وكأن الهزيمة نهاية حتى لماضيهم وما حققوه من حضارة وهنا نسأل : هل يختلف استعمار اليابان عن استعمار بلاد المسلمين ؟ أم انه قدر لا يمكن السؤال عن رده ؟ لذا الشعور بالنقص لا يكون ظاهرة سلبية ، بل عاملاً مساعداً في تقدم الفرد ، والإسلام يدعو إلى التوازن النفسي في كل الاستعدادات والقابليات ، فلا ينبغي التمسك بواحدة منها فقط وإهمال سائر القابليات ، بل إن الفرد المتكامل هو الذي ينمي جوانب الذات وقابلياتها معاً في حالة متعادلة ، فلا إفراط ولا تفريط ، بل المنهج السوي الصحيح ، وعليه ، فان الشعور بالنقص يحتفظ بدوره في تفعيل الدوافع الفطرية والمكتسبة وتنشيطها لتؤدي دورها بشكل كامل ، أي أن هذا الشعور كأى حالة نفسية فانه يعد حالة متوازنة ويمثل المنهج السوي في مسيرة الإنسان وعدم اضمحلال شخصيته في انتمائها للمجتمع بشرط أن لا يخرج الإنسان عن أصل التوحيد بل يبقى الانتماء إلى الله هو الأصل مقابل الانتماء إلى المجتمع.

### المحور الثالث - موقف القرآن بالنسبة للشعور بالنقص

إن هدف الإنسان النهائي في نظر القرآن هو الوصول إلى القرب الإلهي قال تعالى : ((هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ )) [ الحشر / ٢٤ ] ، كذلك قوله سبحانه (( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ )) [ آل

## الشعور بالنقص في ضوء النظريات العلمية

عمران / ٣١ ] ، ويشير القرآن إلى قصة النبي إبراهيم عليه السلام بقوله : ((إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ )) [ الأنعام / ٧٩ ] ، يتضح من هذه الآيات القرآنية أنّ الفرد يحمل دافعاً فطرياً إلى التوجه إلى الله والتوكل عليه ، لان هذا التوجه نحو الكمال المطلق إنما هو يسد للإنسان حالة النقص والحاجة التي تنتابه ، إن التفسير القرآني الذي يوضح طبيعة النقص في النفس البشرية وحاجاتها الضرورية لخالقها هو التفسير الحقيقي للنفس البشرية ، فالإنسان يعاني نقصاً لكونه خلق من عدم فنحن مجبرون على أن نولد ومجبرون على أن نموت ، لذا لا بد من استناد الإنسان إلى إرادة إلهية جبارة لا بد من ان تنتهي به إلى حيث الصفاء النفسي والروحي بدرجة أعظم من استناده إلى إرادة أرضية ، فالمنهج القرآني حين رسم الهدف الأساسي للإنسان واطهر أهميته ودعا إلى التوجه إلى الله ، ذلك لأنه اوجد في النفس حالة من الشعور بالنقص من جميع الجوانب ، ولكي يثير فيها الرغبة والتحرك والاندفاع نحو طلب الكمال وسد النقص ، قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ )) [ فاطر / ١٥ ] ، فمع إن الإنسان أكثر استعداداً للرقى والتكامل من أي حيوان آخر لكنه ضعيف جداً وناقص من ناحية الغريزة والصفات الطبيعية ثم يأتي المعلمون والمربون ليكملوا هذا النقص ، ومن هنا قال النبي محمد ( صلى الله عليه واله وسلم ) : ( بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ) أي جئت لأقدم للإنسان تلك الصفات المكتسبة اللازمة لسعادته ( ٣٠ ، ص ١٧٣ ) ، أي ليس من الحكمة أن يجد الإنسان نفسه ضعيفاً أمام قوى الطبيعة وان الله سبحانه قد سخرها له وهذا دليل على انه نفسه أقوى من أن يشعر بالنقص أمامها فبتقديره السليم لذاته يزداد ثقة وقوة في نفسه ، ومن هنا فالإنسان المسلم الساعي لدرجات الكمال على وفق المنهج الإسلامي لا يعترضه الشعور بالنقص أمام المخلوقات عامة ، وهذا يستوجب قوة في ذاته تتحدى كل الصعاب ، وان أخذت منه هذه الصعاب بعض المآخذ في حالة من حالات الضعف ، فانه قادر على ضبط النفس والعودة إلى الصفاء الروحي والنفسي في لحظة التأمل والتقييم للذات ، وان أي انتصار على الآثار السلبية النفسية تمنح الإنسان طاقة جبارة في مواجهة تلك الصعاب ، وهكذا يتضح ان الشعور بالنقص يكون ايجابياً في الرؤية الإسلامية حين يكون مرتبطاً برضا الله سبحانه اذ يسعى الإنسان إلى تصعيد نشاطه العبادي سواء في سلوكه تجاه ربه أو تجاه الآخرين ، ولاسيما وان النظرية الإسلامية عينت الهدف النهائي للإنسان ودعت إليه ، وما حالة الشعور بالنقص إلا لتثير في قلب المسلم الرغبة وتحرك لديه النزعة الفطرية في طلب الكمال وسد النقص ، إذ أنّ الميول الفطرية التي تدفع الإنسان إلى اللانهاية لا يتم إشباعها الكامل إلا بالوصول إلى مقام القرب الإلهي ، وعلى هذا فنحن مع الأطروحة الإسلامية في إن التكامل والتقدم بحاجة إلى أمرين : وجود الهدف وقداسته وأهميته ، وفقر الإنسان وحاجته الماسة للاتصال بهذا الهدف ، وان هذه الأطروحة تتفق مع نظرية ادلر في جوانب ولا تتفق معها في جوانب أخرى .

## المبحث الخامس - الوقاية والعلاج

إن من الصعوبة بمكان أن يدعي عالم النفس انه استطاع أن يجد حلاً علمياً لحالة الشعور بالنقص ، ذلك أن هذه الحالة لا يمكن التعامل معها بطريقة التعامل مع الظواهر المادية الأخرى ، لأنها لا تخضع لقانون علمي ثابت ، ومع انه من أهداف التربية الإسلامية والصحة النفسية تنمية المواطن الصالح ، صاحب الإرادة والعقيدة الذي يعيش في سعادة وسلام ، فقد اهتم المنهج الإسلامي وعلم الصحة النفسية ببيان طرق الخلاص - وقاية وعلاجاً - من حالة الشعور بالنقص وما قد يلحق به من إفراط وتفریط يجران الفرد إلى أمراض نفسية خطيرة وهي على النحو الآتي :

### أ- الأسلوب الوقائي في علم النفس

١. العمل على تحقيق اكبر درجة من النمو والتوافق في كل مراحلها بغية تنشئة أطفال يتمتعون بالصحة النفسية والقدرة على الإنتاج .
٢. اجتناب الأخطاء التربوية الباعثة على إيجاد الشعور بالنقص وذلك بسيادة جو مشبع بالحب يشعر فيه الطفل بأنه مرغوب فيه ، وينظر إليه كعضو هام في الجماعة .
٣. تحقيق التوافق الانفعالي والاجتماعي والمعرفي والمهني ضماناً لنمو الفرد نمواً سليماً وتجنباً له لمشاعر النقص والدونية التي يعاني منها ( ٨ ، ص ٥٠-٥٣ ) .

### ب- الأسلوب الوقائي في منهج القرآن

١. الأصول الوراثية : أكد الإسلام على أن للوراثة أثراً ما في سلوك الفرد ، فقد اهتم ببناء الفرد الصالح من قبل انعقاد النطفة ، حيث وجه الأب- صاحب النطفة - لاختيار الأم - محل نمو النطفة - اختياراً دقيقاً ، فقد ورد عن رسول الله محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : ( تَخَيَّرُوا لِنُطْفَتِكُمْ فَانكحُوا الْاَكْفَاءَ ، وَانكحُوا إِلَيْهِمْ ) ( ٢٠ ، ص ٤٥٩ ) .
٢. انعقاد النطفة : حذر المنهج الإسلامي من انعقاد النطفة بالحرام لما لها من آثار سلبية على نفسية الفرد وسلوكه والتي قد تمتد آثارها إلى المجتمع بأكمله فتؤدي إلى فساد وانحرافه قال تعالى : ((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ )) [ الروم / ٤١ ] .
٣. وردت توصيات إسلامية عديدة في شرائط وأحكام الولادة والرضاعة والنفاس واجتناب اللقمة الحرام ، وحتى مراقبة الفرد وهو في رحم أمه ، وذلك صيانة له من بعض المؤثرات السلبية على مستقبل حياته وسلوكه ، فقد ورد عن الإمام الصادق ( عليه السلام ) قوله : ( كَسَبَ الْحَرَامَ يَبِينُ فِي الذَّرِيَةِ ) ( ١٠ ، ص ٥٣ ) .

وعلى هذا النسق ينبغي أن نحدد الأسلوب العلاجي لعقدة الشعور بالنقص وعلى النحو الآتي :

### أ- العلاج النفسي :

## الشعور بالنقص في ضوء النظريات العلمية

١. تهيئة المناخ أو الجو العلاجي المشبع بالأمن والتقبل ذلك لإثارة انفعالات سارة ومريحة تبعث في نفس الفرد الطمأنينة والأمل .
٢. **التداعي الحر** : " Free - association " وذلك بإطلاق العنان لأفكار الفرد ومشاعره وصراعاته تتداعى حرة دون قيد للكشف عن العقد النفسية المكبوتة في اللاشعور واستدراجها إلى حيز الشعور .
٣. **التنفيس الانفعالي** : " Emotional catharsis " بان يفرغ الفرد ما بنفسه من انفعالات ليتخلص من التوتر حين يتحدث عن صراعاته ومشاعر القلق والنقص لديه .
٤. **التفسير** : " Interpretation " هدفه إحداث التغيير في مشاعر الفرد تجاه نفسه ومن ثم تنمية بصيرته ومساعدته في إبعاد مشاعر القلق والإحساس بالنقص والعجز لديه .
٥. **الاستبصار** : " Insight " بعد التعرف على مصادر الاضطراب والعجز لدى الفرد يصبح أكثر استبصاراً لسلوكه وأكثر قدرة على التحكم في هذا السلوك .
٦. **إعادة التعليم الانفعالي** : " Emotional - re - education " تقتضي هذه العملية إزالة العادات الانفعالية الخاطئة لدى الفرد ، وإعادة التعلم تبدأ بتعلم عادات بسيطة وخبرات جديدة للسلوك السوي .
٧. **توقف العلاج** : عندما تتحل إشكالات الفرد المضطرب يجب أن يبقى الباب مفتوحاً له للمراجعة لكي يعود متى يشاء ( ١٧ ، ص ٢٠-٢٢ ) .

## ب - العلاج الإسلامي

- انطلاقاً من قول الله تعالى ٠ على لسان النبي إبراهيم عليه السلام : ((الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ \* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ )) [ الشعراء / ٧٨-٨٠ ] ، تطرح النظرية الإسلامية بهذا الصدد علاجاً تربوياً وإيمانياً للحد من مسألة الشعور بالنقص وعلى النحو الآتي :
١. **الانتماء إلى الله** : قال تعالى : ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا )) [ فاطر / ١٠ ] .
  ٢. **التقوى** : وهي الوسيلة الوحيدة التي تؤدي بالإنسان إلى سعادته الحقيقية وتجلب له الشرف والكرامة بعيداً عن الاضطرابات والعقد النفسية قال تعالى : ((وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى )) [ البقرة / ١٩٧ ] ، كذلك قوله تعالى : ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُم )) [ الحجرات / ١٣ ] .
  ٣. **النية الصادقة** : يرى الإسلام إن نيات المرء خير من عمله فهم يهتم بدوافع العمل لا منافعه قال تعالى : ((يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا )) [ الملك / ٢ ] .

## العفراوي

٤. أداء التكليف : قال تعالى : ((لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا )) [ البقرة / ٢٨٦ ] .
  ٥. الصبر والقناعة : إن الصبر من أعظم الصفات التي يمدحها القرآن فهو لا يعني تحمل الشقاء وقبول الاستسلام للعوامل الخارجية ، بل يعني المقاومة والثبات أمام الصعاب قال تعالى : ((وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ )) [ لقمان / ١٧ ] ، كذلك فإن القناعة فهي من المفاهيم الفعالة والمؤثرة في النفس الإنسانية فهي تعني غنى النفس بأي وضع كانت وقد طرحها الإسلام كوقاية أو علاج لأنواع متعددة من الأمراض والعقد النفسية .
  ٦. الدعاء : قال تعالى ((ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ )) [ غافر / ٦٠ ] .
- وهكذا نجد أن علم النفس والصحة النفسية والمنهج الإسلامي يوجه اهتماماً كبيراً إلى الوقاية والعلاج لكثير من الأزمات والعقد النفسية ، لذا من واجب علماء النفس ان يستفيدوا من الدين وان يلتزموا بقوانين الخالق لأنهم ليسوا اعلم بالإنسان من الله الذي خلقه قال تعالى : ((رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ )) [ الإسراء / ٢٥ ] .

## المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. احمد عزت راجح ، أصول علم النفس العام ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٧٣ م .
٣. أكرم نشأت إبراهيم ، علم النفس الجنائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط٤ ، ١٩٦٨ م .
٤. الإمام الخميني ، الأربعون حديثاً ، دار الكتاب الإسلامي ، إيران ، ١٩٩١ م .
٥. الأمدي ، غرر الحكم ودرر الكلم ، مادة النفس ، دار القارئ ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
٦. جمال حسين الالوسي ، علم النفس العام ، جامعة بغداد ، كلية التربية ، ١٩٨٨ م .
٧. جوليان رونز ، علم النفس الاكلينيكي ، ترجمة عطية محمود ، دار الشروق ، ١٩٨٤ م .
٨. حامد عبد السلام زهران ، الصحة النفسية والعلاج النفسي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٧ م .

## الشعور بالنقص في ضوء النظريات العلمية

٩. حامد عبد السلام زهران ، التوجيه والإرشاد النفسي ، عالم الكتب ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .
١٠. الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، إيران ، ج ١٢ ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .
١١. حلمي المليجي ، علم النفس المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ م .
١٢. حنا عزيز ، علم نفس الشخصية ، جامعة بغداد ، كلية التربية ، مطبعة التعليم العالي ، الموصل ، ١٩٩٠ م .
١٣. زيد الدين العاملي ، منية المرید ، مكتبة الإعلام الإسلامي ، إيران ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .
١٤. سعد المغربي ، انحراف الصغار ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
١٥. عباس مهدي البلداوي ، العقدة النفسية ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٨ م .
١٦. عبد الحميد محمد الهاشمي ، علم النفس التكويني ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٢ م .
١٧. عبد الرحمن العيسوي ، العلاج النفسي ، دار الفكر الجامعي ، الرياض ، ١٩٧٩ م .
١٨. عبد الستار إبراهيم ، علم النفس الاكلينيكي ومناهج التشخيص والعلاج النفسي ، دار المريخ ، ١٩٨٨ م .
١٩. عبد علي الجسماني ، سيكولوجية الطفولة والمراهقة ، مكتبة الفكر العربي ، بغداد ، ١٩٨٣ م .
٢٠. علاء الدين الهندي ، كنز العمال ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩ م .
٢١. العلامة المجلسي ، بحار الأنوار ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٢ ، ١٩٨٣ م .
٢٢. فان دالين ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ترجمة : محمد نبيل نوفل وآخرون ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
٢٣. فيصل محمد خير الزراد ، الأمراض العصابية والذهانية والاضطرابات السلوكية ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٤ م .
٢٤. ليث الحيدري ، الشعور بالنقص بين النظرية القرآنية وعلماء النفس ، منشورات لسان الصادق ، إيران ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .
٢٥. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ( ت ٦٦٦ هـ ) ، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨١ م .
٢٦. محمد تقى فلسفي ، الطفل بين الوراثة والتربية ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ج ١ ، ١٩٦٩ م .
٢٧. محمد تقى مصباح اليزدي ، معرفة الذات لبنائها الجديد ، ترجمة : محمد علي التسخيري ، مؤسسة طريق الحق ، إيران ، ط ١ ، ١٩٩٥ م .
٢٨. محمد القبانجي ، الإسلام والصحة النفسية ، منشورات لوح محفوظ ، طهران ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .

## العفراوي

٢٩. محمد عودة محمد ، سمات الشخصية المميزة لحالات سوء التوافق وحالات الاضطراب ، مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية ، العدد ٥٩ ، الكويت ، ١٩٨٩ م .
٣٠. مرتضى مطهري ، فلسفة الأخلاق ، مؤسسة صدر الخلائق ، مكتبة الآداب الشرقية ، النجف الأشرف ، ٢٠٠٤ م .
٣١. مصطفى احمد فهمي ، الإنسان وصحته النفسية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
٣٢. مصطفى إسماعيل سويف ، الأسس الدينامية للسلوك الإجرامي ، المجلة العربية للدراسات الأمنية ، العدد ٥ ، بغداد ، وزارة الداخلية ، ١٩٨٨ م .
٣٣. ملاك جرجيس ، مشاكل الصحة النفسية للأطفال ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٥ م .
٣٤. هول ، ولندزي ، نظريات الشخصية ، ترجمة : فرج احمد فرج وآخرون ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

### The sense of Inferiority in the Light of Scientific Theories

#### Abstract :

The sense of inferiority and failure is inherent in the status of the human spirit Since the beginning of creation. From the earliest age, a child feels powerless and weak in front of the others. Such feeling may continue with him / her to old age. That is the feeling of inferiority complex in most eastern societies, which has, whether directly or indirectly, a great effect on affinity to the strong person in his abilities and potential. This combination with the other in every detail of his / her life indicates a state of weakness and instability of the faith of the individual.

As the human creature is weak and has a life full of difficulties, he / she feels powerless in front of the forces of nature. So, he / she sees himself / herself less than the others. Scientists, whether Muslims or not, have realized the seriousness of this problem, and what excessive or compromising may lead to feeling inferior and weak, which in turn would to having the feeling of vanity.

This problem has been increasing recently due to the conditions faced by the world community of technological development and rapid civilized leap, which dropped the individual and society into variable types of pressure and psychological problems, whose social impact is to make the whole nation become infected and to be as a result the victim of political and economic ambitions. This would subsequently reinforce the situation of dependency on the foreign and emphasize the spirit of cultural alienation so as to separate the people from their heritage and original culture.

Although the sense of inferiority is not essential, but a catalyst for human progress and integration, but it remains constant as long as humans lacked the moral (belonging to God), through which they may obtain the rights to absolute perfection. Hence, the idea of present study started from the aim to detect this problem, its causes and consequences in the light of scientific theories. As an analytical and descriptive study, it attempts to clarify the prevention and treatment methods as well as showing the greatness of the Holy Quran of the variable prevention and treatment programs included in It, as the Quran takes care both in style and substance of the individual's psychological cases directly or indirectly since It carries a message of happiness from the Almighty to guide humanity, saying, " and We have sent down to thee a Book explaining all things, a Guide, a Mercy, and Glad Tidings to Muslims " (An - Nahl 89).